التواصل بين افق البلاغيين العرب وواقع التنظيرات التواصلية المعاصرة

" تنظيرات الجاحظ أنموذجا "

د. واضح أحمد
جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة

لا شكّ أن أي نظرة متفحّصة لتراث البلاغيين العرب؛ تلقي بنا إلى اكتشاف زخم معرفي هائل من التّنظيرات الفكريّة الحاملة في طيّاتها معالم وأسس الطّروحات الغربية المعاصرة المعنية بقضايا التّواصل والمسائل المنوطة به ولا سيما الدرس السيميائي المعاصر،ويظهر هذا المقتضى المعرفي بعنف في ثنايا تخريجات وتصورات العديد من البلاغيين العرب، ولكن يبقى الجاحظ في طليعة هؤلاء العلماء المبّرزين الّذين كان لهم باع طويل لا يستهان به في مسألة إثراء الدّرس البلاغي العربي بمقومات تواصليّة ترقى في بعض تمظهراتها لتلامس النتائج المعرفيّة الّتي انجرّت عن مغامرات أقطاب الفكر السميولوجي المعاصر المعنى بدراسة التواصل ،وهو ما سنسعى إلى تبيانه من خلال هذه السّطور المعرفيّة، وقد تمّ نسج خيوط هذا البحث بالاعتماد على المنهج الوصفي التّحليلي.

الكلمات المفتاحية:(التّواصل، الّسيميولوجيا ،البلاغة، الجاحظ، التّفاعل)

Abstract :

There is not doubt that any close look at the heritage of the arab calligraphers leads to do discovery of a seat of cognitive tehories that carry the foundations and characteristics of modern communication concepts . theis cognitive reality apears in the perceptions of many arab plagiologists ; but al jahiz remains the most important

because it enriched the arabic rhetorical lesson withe communicative elements that are similar to the cognitive results that have emerged from contemporary sociological thought concerned with the study of communication ;we will try to show these knowledge facts through in this scientific article ;and we have relied on the descriptive analytical approach

Key words :(communication, symology, rhetoric, aljahiz, interaction)

–توطئة:

تعتبر اللغة وسيلة ضرورية للتفاهم بين البشر، فهي تمكنهم من تبليغ أفكارهم والتعبير على ما يجول في أحاسيسهم ومشاعرهم إلى غيرهم من الأفراد وكان نتيجة هذه الأهمية التي اختصت بها اللغة ظهور عدد كبير لا يستهان به من المفكرين والفلاسفة وعلماء لغة وعلماء نفس وعلماء اجتماع محدثين انكبت جهودهم في البحث في جوهر هذه الخصوصية البشرية تعريفا ووصفا وتحليلا وإحصاءا لأنماطها ووظائفها وتوضيحا لعلاقتها وارتباطاتها ببعض الجوانب الأخرى الملتصقة أو المصاحبة للفرد الإنساني كالعقل والسلوك والوسط الاجتماعي...الخ.

ولقد نتج عن هذه المقاربات والدراسات المتعلقة بحقل اللغة مجموعة من التصورات والتنظيرات هدفها الجوهري: تنظيم وتسهيل عملية التواصل بين بني البشر، وبالضبط بين أطراف العملية التواصلية، خاصة إذا أدركنا الطابع التعددي المختلف الأشكال والصور الذي طبع المادة التواصلية التي تعتمدها اللغة، بحيث لم تعد تقتصر على نوع واحد بل اختلفت أنواعها حتى أصبحت كما يقول ويليام شرام

Williame Chrame "تعني جميع الطرق التي يتم خلالها التبادل والمشاركة في المعلومات والأفكار، وتشمل وسائل الاتصال الجماهيرية، ووسائل الاتصال بين الأفراد، وتضم اللغة والرموز والإشارة، وتعبيرات الوجه والصور والمطبوعات والأفلام، وكل ما يتم توصيل المعاني والقيم السلوكية من شخص لآخر"[1]. وعليه فإن الاتصال وفق هذا المنظور هو أوسع نطاقا من اللغة، بحيث تصبح هذه الأخيرة وسيلة من وسائله التي يعتمدها.

وبذا، يتبين لنا الأهمية التي اكتنفت جوهر اللغة وما يتصل بها من وظائف (ذات البعد الإنساني الاجتماعي بالدرجة الأولى)، خاصة تلك الوظيفة التي تتعلق بالنشاط أو السلوك الذي يرمي إلى تحقيق فعالية قصوى في ما يخص تنظيم التواصل بين بني البشر، ولربما كان من أهم الأسئلة التي تفرض نفسها هنا هي تلك التي تبحث إجابات متعلقة بالوظيفة الأخيرة التي ذكرناها والمتجسدة في الطابع التواصلي الذي يطبع اللغة وبالضبط البحث ومحاولة الكشف في الأرصدة التي خلفتها الدراسات اللغوية التراثية (البلاغية) والدراسات اللغوية الحديثة في المجال، بصيغة أخرى: ماهي علاقة هذا الطابع (التواصلي) الذي أضحى من أهم المجالات التي تنشغل بها الدراسات اللغوية الحديثة بالبلاغة العربية في عمومها؟ وهل كان هذا الطابع محل عناية واهتمام ودراسة من طرف البلاغيين العرب؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في الأسطر القادمة.

[1] حسن حمدي الطويجي، التكنولوجيا والتربية، ط3 (الكويت: دار القلم، ، 1983)، ص 33.

1-اهتمامات البلاغيين العرب بالنظام التواصلي وشروطه:

إن المتصفح لمؤلفات ومدونات البلاغيين العرب في العصور الوسطى يلفي أفكارا قيمة لا تقل وزنا معرفيا وأهمية عما هو موجود في الدراسات الحديثة المتعلقة بالتواصل، فقد احتوت تخريجاتهم على كم هائل من الطروحات التي تصف وتؤطر للعملية التواصلية وأركانها ووظائفها.

وقبل الولوج في إيضاح وتبيان هذا الطرح بالشرح والتفصيل لا بأس أن نذكر أن الجدر اللغوي لكلمة بلاغة له علاقة قوية من حيث التماهي والتشابه مع مصطلح التواصل[1]. فالفعل (بلغ) أي وصل وانتهى(..،) و(تبلَّغ) بالشيء وصل إلى مراده و(البلاغ) ما يتوصل به إلى الشيء المطلوب (...،) و(الإبلاغ) الإيصال (..،) ورجل (بليغ) أي حسن الكلام، نصيحة، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه[2]. أما مصطلح التواصل فهو يشير إلى العملية أو الطريقة التي تضمن انتقال الأفكار

[1] يجب التنبيه في هذا المقام أن المصطلح الأوروبي Communication، تعددت ترجمته في الكتابات العربية، فمن الباحثين من يعتمد على مصطلح اتصال كمقابل له، بينما يفضل البعض الآخر استخدام مصطلح تواصل. وإننا لنحبذ استخدام مصطلح التواصل في مسارات هذا البحث كترجمة للمصطلح Communicationلأن مصطلح اتصال متعلق بإيصال أو نقل معلومات من طرف إلى آخر؛ فإن مصطلح التواصل مرتبط بالتأثير المتبادل الذي ينتج من طرفي العملية التواصلية التي تحدث في إطار عملية التفاعل. وبذا يمكن أن نستشف أن مصطلح "تواصل" أكثر دقة وشمولية. يقول بشير إبرير في هذا الصدد "كلمة تواصل أكثر دقة من الكلمات الأخرى، لأنها تعني كلا من المتكلم والمخاطب والتفاعل الحاصل بينهما" ينظر: بشير إبرير، التواصل مع النص من أجل قراءة فعالة محققة للفهم، مجلة اللغة العربية، الجزائر، ع4، 2001، ص 203.

والمعلومات بين الناس، داخل نظام اجتماعي معيّن[1]. بمعنى أن كلاهما يهتمان بعملية توصيل ونقل معلومات من طرف مرسل نحو متلقي.

ومن بين الإشارات الهامة الدالة على أن البلاغيين العرب قد أدلوا بدلوهم في الكشف عن البعد التواصلي للغة؛ نجد على سبيل المثال ابن سنان الخفاجي، حيث يقول: "ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون الكلام واضحا جليا لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأمل فهمه، وسواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظوما أو منثورا [...] والدليل على صحة ما ذهبنا إليه [...] أن الكلام غير مقصود في نفسه، وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم"[2]. نستشف من هذا القول إن وظيفة اللغة حسب الخفاجي تتمثل في التواصل، وبالضبط في الوظيفة التعبيرية[3]، بمعنى تبليغ الفرد (الإنسان) عما يجول في نفسه من أغراض ومعان عن طريق اللغة.

كما أن البلاغة في حد ذاتها، وما يتعلق بانقساماتها الثلاثة والمتمثلة في علم المعاني والبيان والبديع[4] تنحو نحو البعد التواصلي، فعلم المعاني متعلق بدراسة طرائق الكلام أو الأسلوب، وذلك ليطابق مقتضى الحال، أما البيان والبديع فهما قسمان

[1] ينظر: محمود عودة. أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي،(بيروت دار النهضة العربية، ، 1988)، ص 05.

[2] ابن سان الخفاجي، سر الفصاحة ص 331/330.

[3] يمكن الاستنتاج أن هذه الوظيفة (التعبيرية) التي أوكلها ابن سنان الخفاجي للغة هي من بين الوظائف الست التي تحمل اللغة حسب جاكبسون Jakobsone باعتبارها الوظيفة التي تقوم بتحديد العلاقة بين المرسل والرسالة وموقفه منها على أساس أن الرسالة تقوم بدور التعبير عن حالة مرسلها. أما بالنسبة للوظائف الخمس الأخرى حسبه فهي: الوظيفة الندائية، وظيفة إقامة الاتصال، وظيفة ما وراء اللغة (للمعجمية)، الوظيفة المرجعية، الوظيفة الشعرية (الإنشائية والأدبية). ينظر: بوقرة نعمان. محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة 2006، ص04.

[4] ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص 04 وما بعدها.

بلاغيان مرتبطان بكنه التواصل وجوهره، وذلك بفضل عنايتهما بالجانب التنميقي الجمالي للألفاظ والجمل للتأثير في النفوس، وبالتالي خلق الفعالية التواصلية ونجاحها.

وبذا، فلا يمكن اعتبار مصطلح "البلاغة" يحمل مفارقات وميزات كثيرة من حيث الكنه والوظيفة إذا ما قورن بينه وبين المصطلح "اتصال"، خاصة وأن التصور الذي أخذ به العرب وهم ينظرون إلى البلاغة ووظيفتها، إنما كان مرتبطا لديهم بتحقيق الغاية الإفهامية والإقناعية بالدرجة الأولى، والمتجسدة في بلوغ المتكلم (البليغ) إيصال قصده إلى المتلقي[1]

أما فيما يخص العناصر الأساسية التي أقرها البلاغيين العرب في تخريجاتهم، المتعلقة بشروط العملية التواصلية الناجحة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أ– عناصر العملية التواصلية:

لقد كان الجاحظ من بين البلاغيين البارزين الذين تعرضوا لمسألة التواصل، فقد قرنه بالبيان، حيث يقول في تعريفه: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى، وهتك الحجاب دون ضمير حتى يضفي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر، والغاية التي يجري القائل والسامع إليها إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"[2]. نلمس من خلال هذا القول رؤية –جاحظية– ثاقبة حول عناصر العملية التواصلية، تقارب إلى

[1] جميل عبد المجيد. البلاغة والاتصال، ص 08.

[2] أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، (القاهرة ،مكتبة الخانجي)، ج1، ص 76.

حد بعيد ما نظرت له الدراسات اللغوية الحديثة المختصة بالمجال التواصلي، فهاهو جاكبسون: يعتبر أن اللغة وسيلة للتواصل الإنساني لا تتحقق إلا بتوفر بعض العناصر الضرورية، ومن أهمها[1]:

1-المرسل: وهو العنصر الأول في العملية التواصلية، وتكمن مهمته في أداء الرسالة ← ويُقابِلُهُ عند الجاحظ المتصل المتلقي (المخَاطِبْ).

2-المتلقي: وهو العنصر الثاني في العملية التواصلية، وتكمن في استقبال الرسالة ← ويقابله عند الجاحظ "السامع" المتلقي (المخَاطَبْ).

3-رسالة لغوية: وتعتبر هذه الأخيرة بمثابة ظرف المحتوى الكلامي الذي تشير إليه ← كل شيء كشف لك القناع.

4-إقامة الاتصال بين المرسل والمتلقي: من شروط نجاح العملية التواصلية لابد من قناه تحويل تحقق الاتصال وتبقيه قائما ← "الدليل" عند الجاحظ.

-ونستطيع تمثيل هذه العناصر الأزمة لتحقيق عملية التواصل كما يلي:

مرسل ——— سياق رسالة إتصال ——— متلقي

كما نستشف بالإضافة إلى ما ألمح إليه من العناصر الضرورية لتحقيق التواصل؛ تعرضه للهدف أو الغاية التي يسعى إليها القائل، والتي يحددها في الفهم

[1] ينظر: بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 110/109.

والإفهام والتأثير. وهو ما يتقاطع مع طروحات علم سيميولوجيا التواصل[1] الحديث، الذي يعتبر أن الوظيفة الأساسية للغة تتمثل في الاتصال والتبليغ والتأثير في الغير، انطلاقا من مبدأ قوامه "ضرورة توفر نية الإتصال "من طرف المتكلم، ونية إدراك الرسالة من طرف المتلقي السامع (المرسل إليه)[2].

كما نلفي عبد القاهر الجرجاني يدلي بدلوه في هذا المجال من خلال رصده لأهم العناصر التي تقوم عليها عملية التواصل، حيث يقول: "وأن يسائلك السائل عن جهة يلقي بها الخصم في آية من كتاب الله تعالى أو غير ذلك، فلا ينصرف عنك بمقنع، وأن يكون غاية ما لصاحبك منك أن تحيله على نفسه، وتقول: قد نظرت فرأيت فضلا ومزية وصادفت لذلك أريحية فانظر لتعرف كما عرفت، وراجع نفسك، ودق لتجد مثل ما وجدت، فإن عرفت فذلك، وإلا فبينكما للتناكر، تنسبه إلى سوء التأمل، وينسبك إلى فساد في التخيل[3]" بمعنى أن العملية التواصلية تتحقق بوجود "رسالة" يؤديها مرسل إلى مرسل إليه، فالمرسل يسأل المرسل إليه عن وجوه الإعجاز الموجودة في القرآن الكريم، ولكي يتم المرسل هدفه؛ يدعوه الجرجاني إلى أن يحيل المرسل إليه (الصاحب على نفسه) ثم يحرص على أن يبين له نتيجة هذه الإحالة وهي كشف "فضل القرآن وروعة أساليبه وتراكيبه، بالإضافة إلى ذلك فالمخاطب (الصاحب): "تجد مثل الذي وجدت" بمعنى اكتشاف سر الإعجاز، وإذا لم يحدث

[1] يمثل هذا الاتجاه في السيميولوجيا الفرنسية كل من جورج مونان G. Mounin وول. بريطو Prieto، وجان مارتينيه J. Martine، ويمثله في الاتجاهات السيميائية الأخرى أ. إكو Eco والذي يرى بأن السميوطيقا هي العلم الذي يدرس ظواهر الثقافة بوصفها أنظمة للعلامات، قائمة على فرضية مؤداها: أن ظواهر الثقافة جميعها؛ ماهي في الواقع سوى أنظمة من العلامات، بمعنى أن جوهر الثقافة كامن في الاتصال، ينظر في هذا الصدد: قادة عقاق، في السيميائيات العربية، قراءة في المنجر التراثي، ص54.

[2] المرجع نفسه، ص23.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 46.

هذا فمآل العملية التواصلية هو "التناكر" أي الإختلاف بين المرسل والمرسل إليه، الأول يصف الثاني بسوء التأمّل، والثاني يصف الأول بفساد التخييل.

ب–شرط معرفة خصوصيات اللغة المستخدمة:

من بين الشروط التي تضمن نجاح العملية التواصلية لدى البلاغيين العرب؛ "معرفة خصوصيات اللغة التي يتم بها التواصل"، إذ يتطلب من المرسل الإلمام بخصائص اللغة التي يعتمدها المرسل إليه (المتلقي)، فكل لغة تحمل من المفارقات والميزات ما ليس في غيرها. يقول الجرجاني "وأنّ الذي قاله العلماء والبلغاء في صفتها (اللغة) والإخبار عنها رموز لا يفهمها إلا من هو في مثل حالهم من لطف الطبع، ومن هو مهيأ لفهم تلك الإشارات حتى كأن تلك الطباع اللطيفة وتلك القرائح والأذهان قد تواضعت فيما بينها على ما سبيله سبيل الترجمة يتواطأ عليها المرسل بالعادات، ولا يعرفها من ليس هو منهم"[1] بمعنى أن معرفة المرسل بالعادات الكلامية التي اختص بها المرسل إليه وما تواضعوا عليه من الطباع اللطيفة الكفيلة بزرع الحدود الفارقة التي تميز لسانهم (قوم المرسل إليه) عن غيره من الألسنة، تمكنه (المرسل) أن يتواصل معه (المرسل إليه) تواصلا ناجحا مؤهلاته الإستعانة بالألفاظ والرموز والإشارات المتعارف عليها.

إن هذا التصور البلاغي المتعلق بأولويات وضمانات وشروط التواصل الناجح الصحيح، القائم على ركيزة أساسية مؤداها الاعتماد على السنن (أو اللغة) المشتركة؛ يعكس نظرة شمولية نوعية وصلت إلى حد الوصول والارتقاء إلى مستوى التنظيرات اللغوية الحديثة، التي جعلت من الاشتراك على مستوى "السنن" بين المرسل والمرسل

[1] المصدر نفسه، ص 169.

إليه (المتلقي) ضرورة من ضرورات ضمان نجاح العملية التواصلية، ويمكن توضيح أهمية هذا القطى (الشرط) في الدراسات اللغوية الحديثة على الشكل التالي[1]:

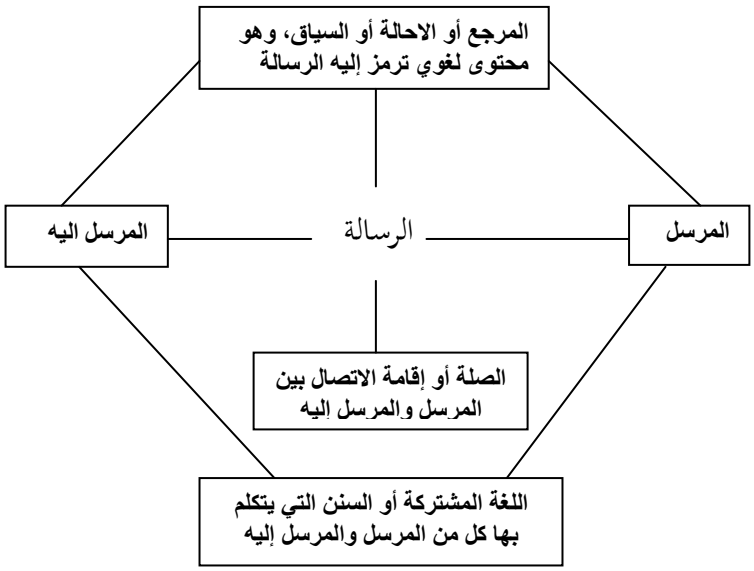

وفي ضوء هذه التجليات تظهر قيمة استخدام اللغة المشتركة، فلا مناص من إدراج هذه الأخيرة من ضمن أولويات الخطاب التواصي الناجح.

كما امتدت مسألة الاصطلاح (التواضع، التعارف، الاتفاق) في البلاغة العربية من مستوى اللفظ إلى مستوى آخر هو مستوى التواضع الإشاري النابع من التواصل غير اللفظي، يقول أبو هلال العسكري: "الشاهد على أن اختلاف العبارات

[1] ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، (الجزائر، دار الأديب للنشر، 2005)، ص: 118.

والأسماء يوجب اختلاف المعاني، إن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرّة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة"[1].

كما نلفي الرازي في كتابه "كشف الظنون" يهتم بالتبليغ باسم التعاون المبني على أساس التعارف في مستواه اللفظي والإشاري، حيث يعتبر أن "السبب في وضع الألفاظ أن الإنسان الواحد لا يستقل بجميع حاجاته بل لابد له من التعاون، ولا تعاون إلا بالتعارف، ولا تعارف إلا بأسباب كحركات أو إشارات أو نقوش، أو ألفاظ توضح بإزاء المقاصد"[2].

ووفق هذا المقتضى التصوري فإن الإشارة حسب التصور البلاغي تشبه في علاقتها بالمشار إليه العلامة اللسانية، إذ يعتمد كل منهما على عقد اصطلاحي بين المتكلمين.

ج–الطابع التواصلي للعلامة عند البلاغيين العرب:

نلفي الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" يبرز ذلكم الوعي العميق بأهمية العلامة ووظيفتها داخل النظام التواصلي، حيث يقول "اللغة تجري مجرى العلامات والسمات ولا معنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه"[3] بمعنى أن اللسان –وفق هذه الرؤية– إنما هو تعاقب علامات جعلت لتدل على ما وجدت من أجله، فالعلامة عنده وحدات دالة يعتمدها المتكلم

[1] أبو هلال العسكري، الفروق في اللغوية، عليه: محمد ياسل عيون السود، الطبعة الأولى، (بيروت، (لبنان)، دار الكتب العلمية،د ت) ، ص33.

[2] فخر الدين الرازي، كشف الظنون، تحقيق حابي خليفة،(بغداد، ، مكتبة المحق)، ج2، ص 161.

[3] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1،(بيروت، دار الكتب العلمية، 2001)، ص226.

(المرسل) لتكون بمثابة نائبة عن الموجودات وخليفة بأن تكون الخليفة لها، وبالتالي يمكن اعتبار العلامة اللغوية حسب الجرجاني أنها ذات طابع تواصلي تنظيمي بالدرجة الأولى، يتم بواسطتها ضمان فعالية في الفعل التواصلي من جهة، ونجاحه من جهة أخرى.

ولقد كان للجاحظ في هذه المسألة كذلك؛ نظرة ثاقبة عميقة، حيث أدرك أهمية العلامة في النظام التواصلي بقوله: "الأسماء التي تدور بين الناس، إنما وضعت علامات لخصائص الحالات"[1] يريد أن يقول الجاحظ بهذه الكلمات إن الألفاظ المتواضع عليها بين الناس (حماية لسانية) ماهي في الحقيقة إلا علامات تفضي إلى أشياء تختص بحالاتها. وتكمن وظيفة هذا الوضع (الاتفاق/ الإصلاح) في تسهيل التواصل وخلق التفاعل اللغوي المنظم بين أطراف العملية التواصلية.

2-التواصل من خلال أفق الجاحظ:

إن المتصفح لدواوين البلاغيين العرب ومؤلفاتهم؛ يلمس إدراك ووعيا كبيرين لأنواع التواصل ووسائله المختلفة التي يستند إليها أي متكلم وهو بصدد المحاولة لتوصيل معانيه التي يقصدها، يقول فخر الذين الرازي: "والطرق كثيرة مثل الكتابة والإشارة والتصفيق باليد والحركة بسائر الأعضاء، إلا أن أسهلها وأحسنها هو تعريف ما في القلوب والضمائر بهذه الألفاظ"[2] فالبليغ هو من ينتقي أحسن السبل لتوصيل معانيه في بلوغ الغاية التي يسعى إليها، وإن كان الرازي بقوله هذا بفضل التواصل عن

[1] الجاحظ: الرسائل الأدبية، شرح علي أبو ملجم، الطبعة (2)،(بيروت، دار الهلال، 1991) ص 348.
[2] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، (مطبعة البهية المصرية، 1998)، ج1، ص69.

طريق الألفاظ بحجة الحسن والسهولة، ولكن الأمر المهم الذي يعنينا في هذا المقام هو تنبهه وفطنته التي خولته لإدراك طرق الأداء التواصلي.

ولعل من أبرز الجهود التي دلت بدلوها في هذا المجال الذي يخص ويتطرق إلى أنواع التواصل ووسائله في البلاغة العربية، تلك التي اتصلت بإسهامات الجاحظ إذ يمثل معلما بارزا في فهم طبيعة التواصل كضرورة اجتماعية[1] ويظهر ذلك الجاحظ جليا وهو في مقام مقاربة الدلالات على المعاني وأنواعها، حيث توصل إلى فكرة جوهرية مفادها: أن اللغة باعتبارها علامة لسانية أو أداة بيان؛ ليست هي آلة البيان الوحيدة، بل تعتبر الإشارة والعقد والنصبة من الآلات البيانية، بالإضافة إلى الخط الذي يعد شكلا من أشكال اللفظ معتبرا عنه، حيث يقول: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة"[2].

إن هذا التصنيف الذي يعتمده الجاحظ وهو يتعرض لمسألة الدلالات على المعاني، هو تصنيف يراعي فيه الظروف والملابسات الطبيعية والثقافية والحضارية التي تحيط بالجو الإنتاجي لهذه العلامة وتدور في فلكه، ولشيء من التدقيق والتوضيح، نرى أنه من الضروري بسط هذه الآلات بشيء من التفصيل:

1- فاللفظ عند الجاحظ هو التعبير عن المعاني بواسطة الصوت، يقول (الجاحظ): "والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع"[3] بمعنى أنه تلك العلامة اللغوية التي تتم عن طريق الصوت، والتي يتواضع عليها أفراد المجتمع

[1] صالح خليل أبو إصبع، نصوص تراثيه في ضوء علم الاتصال، ، ط1 (عمان، دار آرام ، 1995) ص72.
[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 76.
[3] المرجع نفسه، ص 79.

اللغوي الواحد، والتي تتكون من (دال) و(مداول)، أي من ضرورة سمعية، وصورة ذهنية.

2-أما الإشارة[1] فيقصد بها الجاحظ، تلك الإشارات الجسدية أو الإيماءات الدالة، والتي تتم عن طريق اليد والرأس، وبالعين والحاجب والمنكب...[2]، ومن بين خصائصها تعميق القيمة التعبيرية والقدرة الإبلاغية للملفوظ اللغوي، وقد تكون الإشارة "واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وتعني عن الخط"[3] وفي كثير من الأحيان تنفصل عن الكلام وبالرغم من هذا الإنفصال تحافظ على طاقتها التي تلقي بظلالها على القدرة التواصلية.

[1] إن المتصفح لدواوين العرب وطروحاتهم يلفي أن الجاحظ لم ينفرد وحده بالتعرض لمفهوم الإشارة، بل كان لبعض البلاغيين الآخرين (بعده) نصيبا وافرا في التطرق والحديث عن ماهيتها ووظيفتها في تحقيق التواصل. نلفي في هذا المجال ما صدر عن تقي الدين الحموي؛ الذي شبه هذه الأخيرة في علاقتها بالمشار إليه بالعلامة اللسانية، على أساس اشتراكهما في الإعتماد على عقد اصطلاحي تواضعي حيث يقول "إشارة المتكلم إلى المعاني الكثيرة بلفظ يتشبه لقلته واختصاره بإشارة اليد، فلأن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء، لو عبر عنها لإحتاج إلى ألفاظ كثيرة، ولابد في الإشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان، مع الإختصار، لأن المشير بيده إن لم يفهم المشار إليه معناه فإشارته معدودة من العبث" تقي الدين الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعيتو، (بيروت لبنان، دار الهلال) ، ج2، ص258.

-كما نلفي الراغب الأصبهاني يوسع من مجال العلامة، لتشمل كل ما من شأنه أن ينتج دلالة معينة ذات بعد تواصلي، بالتالي يعكس نظرة ناضجة مبكرة إلى نوعي التواصل (اللفظي وغير اللفظي)، حيث يقول الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالات الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب" الراغب الأصبهاني المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد أحمد خلف الله، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ، ص247.

[2] ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص77.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص78.

3-العقد: المقصود به عند الجاحظ أنه حركة تتم بأصابع اليد، تعني الاتفاق والموافقة على أمر معين، أو هو بعبارة أخرى "الحساب بدون اللفظ والخط"[1] وهو عنده (الجاحظ) آلة من آلات البيان ذات دلالة مباشرة في إيصال المعنى إلى المتلقي (السامع /القارئ).

4-الخط: ويحتل هذا الأخير المرتبة الرابعة في تصنيف الجاحظ للآلات البيانية أو (أصناف الدلالات على المعاني)، ومن بين الميزات الكامنة فيه القدرة على تجاوز الزمان والمكان "اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، وهو للغابر الحائن، مثله للقائم الراهن"[2]. فإذا كان اللسان مقصورا على إبلاغ الحاضر في الزمان والقريب في المكان، فإن الخط مطلق، حيث أنه كفيل وقادر على إعلام الغائب في المكان والمسبوق في الزمان.

5-النصّبة: يقول الجاحظ معرفا هذه الآلة البيانية: "هي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاغن، وزائد وناقص"[3] بمعنى أنها تلك الهيئة الدالة على نفسها من غير وسيلة ولا واسطة، والتي تنبثق من خلال نظرة تأملية في الكون وحيثياته.

في ضوء هذه التجليات التي تخص تصور الجاحظ وهو يتعامل مع طبيعة الدلالة في عملها التواصلي، تظهر بوضوح فطنته ووعيه الراشد لمسألة أنماط التواصل التي أخذت قسما وافرا من الجهد والدراسة، من خلال التنظيرات اللغوية الحديثة.

[1] المصدر نفسه، ج1، ص 80.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص80.
[3] المصدر نفسه، ج1، ص81.

ويمكن تبيين وإثراء هذا التقاطع أو التلاقي المعرفي بين رؤية الجاحظ والدراسات الحديثة التي تهتم بالتواصل وأنماطه بإبراز النقاط التالية:

1-التواصل اللفظي Communication Verbale: وهو النمط الأول من أنماط التواصل، ويتم هذا النمط التواصلي عبر القناة الصوتية السمعية[1]، فالتواصل اللغوي يعتمد أساسا على اللغة الإنسانية، والتي هي عبارة عن مجموعة من الوحدات الخطابية، تتكون حسب أندريه مارتينيه André Martinet من[2]:

أ-وحدات الصوت (الفونيم Phonème): وهي المخزونات الصوتية.

ب-وحدات المقطع (المورفيم Morphème): التي هي نظام (نسق) من الوحدات الصوتية والإعربية.

ج-وحدات المعجم: هي نظام مكون من مقاطع مكونة للكلمات.

د-وحدات التركيب: هي نظام يشتمل على الكلمات التي تتركب منها الجملة.

ويقابل هذا النوع من التواصل وسيلة اللفظ عند الجاحظ لاعتمادهما على عنصر الصوت: "والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع"[3] كما يمكن لهذا النمط من التواصل أن يتجاوز المنطوق أو الشفاهي)، إلى المكتوب أو ما

[1] ينظر: جميل حمداوي المعز، التواصل اللفظي وغير اللفظي.

[2] ينظر: جميل حمداوي المعز، التواصل اللفظي غير اللفظي pulpit www.consulté le (18-08-2017).alwatanvoice.com

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 79.

يسمى بالتواصل الكتابي[1]، الذي يتخذ من الكتابة وسيلة فعالة الاتصال بالآخرين، ويقابل هذا النمط التواصلي؛ الآلة البيانية الرابعة بالنسبة للجاحظ والممثلة في الخط، ويمكن توضيح خصائص كل من التواصل المنطوق والمكتوب في الدراسات اللغوية الحديث المهتمة بالاتصال على الشكل التالي[2]:

التواصل المنطوق (متى تتكلم؟)	التواصل المكتوب (متى نكتب؟)
-عندما نريد استجابة مباشرة من الجمهور المستهدف	-عندما لا نريد استجابة مباشرة.
-عندما تكون الرسالة التواصلية بسيطة نسبيا ومن السهل قبولها.	-عندما تكون لدينا رسالة اتصالية مفصلة ومعقدة.
-عندما لا نريد الاحتفاظ بسجل دائم.	-عندما نحتاج إلى سجل دائم ممكن التحقق منه.

2-التواصل غير اللفظي[3] Communication non verbale: ويستعمل هذا المصطلح في الدراسات اللغوية الحديثة المهتمة بالمجال التواصلي للدلالة على "الحركات وهيئات وتوجهات الجسم، وعلى خصوصيات

[1] ينظر: محمد يسري دعبس، الاتصال والسلوك الإنساني، رؤية انتروبولوجيا الاتصال ،(الإسكندرية ، البيطاش سنتر) ص 169.

[2] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[3] لقد حظي التواصل غير اللفظي مؤخرا باهتمام كبير من الدارسين مع تطور اللسانيات والسيميوطيقا، وعلم النفس الاجتماعي حيث "تزايد اهتمام المجتمع العلم في السنوات الماضية بموضوع التواصل الإشاري أو التواصل غير الكلامي، الذي أضحى ميدانيا خصبا للحلقات والأبحاث والمؤلفات، فبالإضافة إلى آلاف المقالات وعشرات الكتب التي صدرت...، فقد نظمت مئات الحلقات الدراسية التي خصصت لاستجلاء هذا العلم المستجد ولإبراز مجالاته التطبيقية العلمية" ينظر جميل حمداوي المعز، التواصل اللفظي وغير اللفظيwww.pulpitalwatanvoice.com...

جسدية طبيعية واصطناعية، بل على كيفيات تنظيم الأشياء، والتي بفضلها تبلغ معلومات"[1]، أي أن هذا النوع من التواصل يتجاوز مساحة الألفاظ التي يتحقق إدراكها من طرف المتلقي عن طريق السمع؛ إلى مجال آخر يعتمد أساسا على الرؤية (المشاهدة) التي تتم عن طريق البصر، أو اللمس على أننا نجد في طرح الجاحظ المتعلق بأصناف الدلالات على المعاني ربطا واضحا بين بعض هذه الأصناف والحواس البشرية المتعلقة بها، وهذا ما يمكن توضيحه على الشكل التالي:

- اللفظ ← السمع.

- الإشارة ← البصر.

- العقد ← بالبصر واللمس.

- الخط ← وضمان الصلة والاستمرارية بين الأجيال.

كما يمكن القول في هذا الصدد ، أن الآلات البيانية المتمثلة في العقد والخط والإشارة تندرج ضمن التواصل غير اللفظي، كما هو الحال بالنسبة للدراسات اللغوية الحديثة، لاسيما الآلة البيانية الأخيرة (الإشارة) التي حظيت ببحوث مستفيضة من لدن علماء اللغة المعاصرين، يقول ب. تودوروف T. Todorve "إن التبليغ لا يتم بواسطة العلامات اللسانية، وإنما وسائل رمزيه تحيط بهذه العلامات، وتحف بها من كل جانب"[2].

[1] المرجع نفسه

[2] الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ.من خلال البيان والتبيين. (الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية د ت).ص246.

ووفق هذه الرؤية؛ فإن هذه الوسائل الرمزية (وفي مقدمتها الإشارة)؛ تقوم بدور فعال في تقريب وتحديد المعنى الذي ينشده المتكلم، ويرغب في إيصاله إلى المتلقي، وبالتالي ينجر عن هذا: تظافر وانصهار لنوعي التواصل (اللفظي وغير اللفظي)، حتى تصبح وحدة كاملة غير قابلة للإنفصال، وهذا ما تنبه إليه الجاحظ، حين قال "الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه، وما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط"[1]، إذ يظهر من خلال هذا القول أن الجاحظ قد تمكن وبعمق من إدراك العلاقة التي تربط التواصل اللفظي مع التواصل غير اللفظي، وقد نبع ذلك من خلال فهمه لطريقة عمل الإشارات التي تحقق ما يلي:

أ-معاونة الإشارة اللفظ في التعبير عن المعاني.

ب-التعبير عن معان لا يستطيع المرء معها استخدام اللفظ.

ج-التعبير عن الاستجابات العاطفية، وهذه الوظيفة لم ينتبه لها الباحثون الذين درسوا التواصل غير اللفظي[2].

وأمام هذا المنحنى من التصور، وفي السياق ذاته، يمكن الجزم أن تخريجات الجاحظ المتعلقة بـ"أنواع الدلالات على المعاني" قد عكست نظرة ثاقبة وعقلية ناضجة ووعيا مبكرا بقضايا التواصل و المسائل المهمة المتعلقة به ، بطريقة أدت إلى ملامسة الرؤى التي تسير في فلك الدراسات اللغوية المعاصرة المختصة بالتواصل، بحكم أنه توصل بفضل هذا التصنيف الذي ارتضاه وهو يتعامل مع الدلالات إلى بعدين

[1] الجاحظ: البيان والتبين، ج1، ص78.

[2] ينظر صالح أبو الإصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، ص 45.

أساسيين تأخذ بهما الدراسات اللغوية المعاصرة، ويمكن توضيح هذان البعدان ببسطهم على الشكل التالي:

أ-تتطابق أفكار الجاحظ الخاصة بهذا الإطار (التواصلي) بالطروحات اللغوية الحديثة، التي تقسم الأنساق الدلالية إلى قسمين كبيرين: الأنساق الدلالية الطبيعية، والأنساق الدلالية الاجتماعية، وتتفرع هذه الأخيرة إلى فرعين آخرين هما: الأنساق اللفظية وغير اللفظية، فالأنساق الدلالية الطبيعية هي"تلك الأنساق التي توجد في حضن الطبيعة، ومن سمات هذه الأنساق أنها غير مؤسسية، فالإنسان هو الذي وظفها داخل مجال الدلائل، وأسند إليها دلالات معينة"[1]، وهذا ما نجده ماثلا عند الجاحظ وهو يتعرض لمفهوم النصية.

أما الأنساق الدلالية الاجتماعية: فهي تلك الأنساق المتعلقة بمنتجات عمل الإنسان (مؤسسية)، وتنقسم إلى قسمين[2]:

1-اللفظية: وهو التواصل الذي يتم عن طريق اللفظ المرتبط بالأنواع السننية القائمة بدورها على التمايزات التي يحدثها الإنسان في مادة الصوت (وتقابل اللفظ عند الجاحظ).

2-غير اللفظية: وهو القسم الثاني من الإنسان الدلالية الاجتماعية، ويعتمد هذا النوع من التواصل على أنماط سننية غير قائمة على الصوت (مثل القسم الأول)، ومن أبرز تجلياتها تلك التي تظهر في حركات الجسم **Kinesic** وأوضاع الجسد

[1] جميل حمداوي المعز، التواصل اللفظي وغير اللفظي.www.pulpitalwatanvoice.com

[2] نفس المرجع.

Postural، مثل التواصل بالإشارات وتعابير الوجه وتعابير أخرى وأوضاع الجسد، (ويقابل هذا القسم: الإشارة والعقد والخط عند الجاحظ).

ويمكن لنا إبراز التقابل أو التماثل الحاصل بين الدراسات اللغوية الحديثة التي تهتم بالتواصل، وبين تصور الجاحظ المتعلق بأصناف الدلالات على المعاني بالشكل التوضيحي التالي:

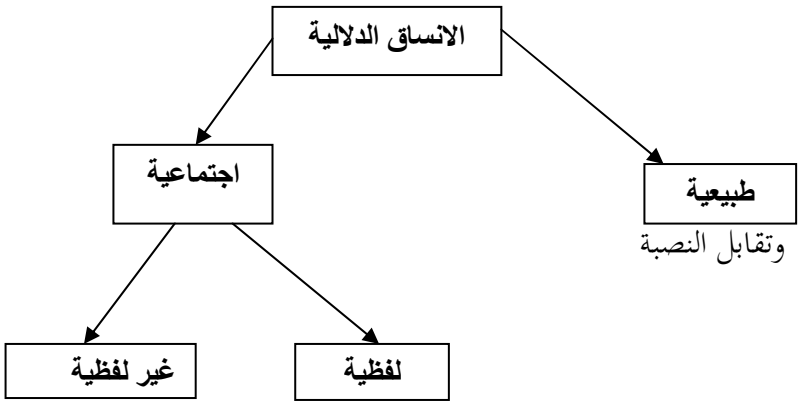

ب-يمكن اعتبار هذه الأصناف المعتمدة من طرف الجاحظ من "لفظ وعقد وإشارة وخط ونصبة" بمثابة وسائل أو قنوات تواصلية يستند المتكلم إليها بإختيار أحسنها وأكثرها ملائمة (حسب الظروف المحيطة والحاجة) لتحقيق غرضه المنشود والمتمثل في توصيل المعنى المراد إلى المتلقي، وهذا ما توصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة بفضل جاكبسون الذي اعتبر أن التواصل الإنساني لا يتحقق إلا بتوفير بعض

العناصر التي اعتبرها لازمة وضرورية، ومن بينها الوسيلة أو (قناة تحويل) التي تضمن الاتصال بإبقائه قائما[1].

ج-يمكن اعتبار هذه الأصناف الدلالية التي ارتضاها الجاحظ مرآة عاكسة تبين بوضوح فطنته الحادة بمعرفة أهمية السياق والعناصر التي يقوم عليها. وقد مكنته هذه الفطنة من الوصول إلى إدراك عميق جعله "يسبق المحدثين في جعل السياق معتمدا على اللفظ والإشارة والصوت والحال، وهو ما عرف بالسياق اللغوي وغير اللغوي"[2].

إن هذه الوقفات تعكس التقاءا فكريا، وتمثلا معرفيا لغويا يقع بين نظرة البلاغيين العرب وتصوراتهم المتعلقة بالعملية التواصلية ، وبين التنظيرات اللغوية الحديثة في المجال التواصلي، خاصة ذلك الطرح الذي انبرى تحت ريشة جاكبسون، ولكن تمت مسألة مهمة متعلقة بطرح هذا الأخير نلفيها في تصوره لمكون السياق؛ فبالرغم من الأهمية التي أعطاها جاكبسون لهذا الأخير في تفصيل وتأطير العملية التواصلية، إلا أنه –على ما يبدو- لم يحدد بدقة علمية كافية مفهوم هذا المكون "بل اعتبره بشكل فضفاض وعائم[...]أي موضوع الرسالة"[3].

يذكر أحد الباحثين وهو -إدريس بن مليح- أن هذا الخلل الذي تضمن نظرة جاكبسون كفيل بأن يكون مصدر أثار سلبية تعكس قصورا مفاهيميا تبناه هذا العالم

[1] ينظر: بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 109.

[2] نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، (الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د ت)، ص205.

[3] علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة،(الدار البيضاء ، دار الثقافة،د ت) ، ص08.

اللغوي وهو يحدد السياق وفق تصوره الخاص ويظهر هذا القصور بشكل واضح على محورين[1]:

أ–المحور الأول: ويمس ما يتولد عن هذا الربط بين السياق والموضوع، حيث ينتج عن هذا الربط القسري (غير المنطقي) الوظيفة المرجعية، في الحين أن المرجعية –كما هو معلوم– مستوى محدد من الإشارة اللغوية.

ب–المحور الثاني: ويظهر في هذا المحور قصور بيّن في المفهوم الذي ارتآه جاكبسون لمفهوم السياق، إذ يمكن القول أن بعض الأجناس الأدبية عصية على قبول هذا التصور غير الدقيق للسياق، فنجد الرسائل الشعرية مثلا تأبى قبوله، ذلك أن هذه الأخيرة تنتمي إلى التواصل التخيلي[*] المفترض بين الباث والمتلقي.

وقد انجرى عن هذه الرؤية غير الصارمة لمكون السياق؛ ظهور علم لغوي آخر –تمثل في التداولية– نظر نظرة مخالفة لتصورات الدراسات التواصلية السابقة لمفهوم السياق، وقد تميزت هذه النظرة بالاتساع والشمول، فبالإضافة إلى اعتبارها أن السياق مكوّن أساسي يتطلب الإلمام به، من أجل تقويم وفهم كل ما يقال؛ اتسعت حدودها لتشمل تمفصلات السياق وحدوده ليغطي: "السياق النفسي والاجتماعي والتخيلي،

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص/ص 09/08.

[*] يظهر هذا التواصل التخيلي في الشعر جليا بالنسبة للمبدع عندما يجرد من ذاته ذاتا تخيلية تمكنه من اختلاق سياق معين يضمن له التواصل التفاعلي، أما فيما يخص المتلقي فإنه يقلب اللغة، فيتخيل ذاتا تبث له الرسالة، وبالتالي يتحقق له إنجاز حدث القراءة، ثم يتخيل سياقا مفترضا لهذا الحدث التفاعلي. ينظر: علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص 09.

أي أنواع من الخطابات أو الرسائل، يختلف سياقها فتختلف محتوياتها، ثم تتمايز بشكل جدري، فتكون القضايا التي تثيرها مختلفة أيضا"[1].

وقد وصل حد اهتمام التداولية بالسياق إلى درجة أنها عرفت في بعض الأحيان على أنها "علم الاستعمال اللساني ضمن السياق"[2]، مما دفع أحد الباحثين التداوليين هو ماكس بليك Max Black إلى رأي مفاده: ضرورة إعادة تسمية التداولية بمصطلح السياقية[3].

الخاتمة:

لقد توّج البحث ببعض النتائج المعرفية من أهمها :

1- إن التواصل مفهوم أوسع من اللغة الإنسانية، بحيث لا تمثل هذه الأخيرة إلاّ وسيلة من الوسائل التي يعتمدها.

2- إن المتأمل الحصيف لتراثنا البلاغي العربي؛ يلفي زخما هائلا من التنظيرات والتخريجات المنهجية التي ارتقت لتلامس الطروحات المعاصرة المتعلقة بمجال مدارسة التواصل.

3- الجدير بالذكر في هذا المقام، أن الجدر اللغوي لمصطلح البلاغة يتماهى من حيث المفهوم مع مصطلح التواصل؛ فكل منهما يهتمان بعملية توصيل ونقل المعلومات من طرف المرسل نحو المتلقي أو العكس، كما يهتمان بمقاربة التفاعلات المنجرة عن هذا التواصل والنقل.

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، ص11.

[3] ينظر: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

4- من بين أهم البلاغيين الذين أدلوا بدولهم في الكشف عن البعد التواصلي في اللغة؛ نلفي الخفاجي الذي قرن البلاغة والفصاحة بالوظيفة التعبيرية، بالإضافة إلى عبد القاهر الجرجاني خاصة في تنظيراته وتصوراته الناضجة والممنهجة حول مسألة أهمية العلامة ووظيفتها داخل النظام التواصلي، وهو حقل تهتم به سيميولوجيا التواصل في الوقت الراهن، وكذا تخريجاته المعرفية المتعلقة برصد أهم العناصر الضرورية التي يقوم عليها التواصل كما يمكن ذكر تنظيرات أبي هلال العسكري في هذا المجال وخاصة في ذلك المجال الذي تحدث فيه عن مفهوم المعنى التواضعي le sens conventionnelle الذي تركز عليه المدراسات التواصلية المعاصرة، بالإضافة إلى بلاغيين تناولوا هذه القضية كالرّازي مثلا...

5- ولكن يبقى الجاحظ من أهم البلاغيين العرب الذي كان لهم دور طلائعي في إثراء وفهم قضية التواصل وطبيعته، باعتباره ضرورة إجتماعية، ويظهر هذا المقتضى التوصري بعمق أثناء حديثه عن أنواع الدلالات على المعاني، حيث قسّمها إلى لفظ وإشارة وعقد وخط وحال (النّصبة) إذ يعكس هذا التصنيف عقلانية ناضجة ومسلكا منهجيا مهما يقترب وإلى حد بعيد مع ما أقرّه رواد المقاربات السيميولوجيا المعاصرة أمثال : بريطو وجاكبسون ومارتيني وجورج مونان وأمبيرتو إيكو ...، خاصة فيما نظروا له في مضمار أنماط التواصل وأشكاله بداية من التواصل اللفظي بنوعيه المكتوب والمنطوق، وصولا إلى التواصل الغير اللفظي والأشكال الأخرى المتفرعة عنّه.

مصادر ومراجع البحث

1. ابن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، تحقيق وتعليق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان، (القاهرة ،دار قباء،2003).
2. إبن منظور. لسان العرب، (بيروت،دار صادر، د ت)
3. أبو هلال العسكري، الفروق في اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد ياسل عيون السود، الطبعة الأولى(بيروت، (لبنان)، دار الكتب العلمية، 2000)
4. أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج1 ، الطبعة الخامسة(القاهرة،مكتبة الخانجي، 1985).
5. أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، (الجزائر، دار الأديب للنشر، 2005.)
6. بشير إبرير، التواصل مع النص من أجل قراءة فعالة محققة للفهم،مجلة اللغة العربية، المجلد رقم 1، ع4 ، الجزائر، (2001).
7. بوقرة نعمان. محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، (عنابة،منشورات جامعة باجي مختار، 2006).
8. تقي الدين الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعيتو، ج2 (بيروت لبنان، دار الهلال،د ت).
9. الجاحظ: الرسائل الأدبية، شرح علي أبو ملحم، ، الطبعة (2)،(بيروت، دار الهلال 1991.)
10. جميل حمداوي المعز، التواصل اللفظي غير اللفظي www.pulpitalwatanvoice.comconsulté le (18-08-2017)
11. جميل عبد المجيد. البلاغة والاتصال. (القاهرة، دار غريب، 2000)

12.حسن حمدي الطويجي، التكنولوجيا والتربية، (ط3، الكويت، دار القلم، 1983.)

13.الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003)

14.الراغب الإصبهاني المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد أحمد خلف الله، (القاهرة،مكتبة الأجلو مصرية،د ت)

15.صالح أبو الإصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة.(القاهرة ، دار القدس،2000)

16.صالح خليل أبو إصبع، نصوص تراقيه في ضوء علم الاتصال، ط1، (عمان ،دار آرام ، 1995.)

17.الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ.من خلال البيان والتبيين.(الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية، 1983)

18.عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.)

19.عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز.شرح وتعليق محمد التنجي ، ط 1 (بيروت، دار الكتاب العرب، 2005)

20.علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، (الدار البيضاء،دار الثقافة، دت)

21.فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب،ج1،(مصر، مطبعة البهية المصرية، 1998)

22.فخر الدين الرازي، كشف الظنون، حابي خليفة،ج2،(بغداد ، مكتبة المتحف، د ت)

23. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، (الرياض، دار النشر العلمي والمطابع، 1994)

24. قادة عقاق، في السيميائيات العربية، قراءة في المنجز التراثي (بلعباس ، مطبعة الرشاد، 2004)

25. محمد يسري دعبس، الاتصال والسلوك الإنساني، رؤية انتروبولوجيا الاتصال، (الإسكندرية، البيطاش سنتر، د ت)

26. محمود أحمد نحلة آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (مصر ، دار المعرفة الجامعية، 2002)

27. محمود عودة. أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي،(بيروت، دارالنهضة العربية،1988.)

28. نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين،(الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د ت)